

البعد الإنساني للثورة الجزائرية من خلال مواعيقها 1954-1962

" المستوطنين الأوروبيين أنموذجاً "

The Algerian Revolution and the Question of European Settlers in Algeria (Positions and Dimensions) 1954-1962

"The European Settlers as a modelé".

الأستاذ: محمدي محمد

قسم التاريخ، جامعة محمد بوضياف المسيلة- الجزائر.

Mohamedbba1902@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2021/07/16 تاريخ القبول: 2021/12/01 تاريخ النشر: 2021/12/31

ملخص:

الأقلية الأوربية المستوطنة في الجزائر هي واحدة من الملحققات الهامة للاحتلال الفرنسي على البلاد، وقد ظلت هذه الأخيرة تحتل مكانة هامة في المجتمع الجزائري طيلة المرحلة الاستعمارية وإلى غاية اندلاع الثورة التحريرية الجزائرية في الفاتح نوفمبر 1954، هذه الأخيرة التي شكلت منعطفاً حاسماً ومصيرياً في العلاقة التي تربط بين المستوطنين الأوروبيين والجزائريين على أرض البلاد، وانطلاقاً من هذا التحول في طبيعة العلاقة بين الطرفين. فالدراسة التي بين أيدينا محاولة لرصد أهم المواقف التي تميزت بها الأقلية الأوربية في الجزائر منذ اندلاع الثورة التحريرية وإلى غاية استرداد الحرية والاستقلال عشية الخامس من جويلية 1962.

الكلمات المفتاحية: البعد الإنساني، المستوطنون الأوروبيون، الثورة الجزائرية، الاحتلال الفرنسي.

Abstract :

We will try through this humble historical study; Shedding light on an important issue during the Algerian liberation revolution 1954-1962, And related to the issue of European settlers in Algeria and their position on the outbreak of the liberation revolution after its outbreak on November 01, 1954, The article also deals with the position of this category of Europeans in the project of the liberation revolution and the latter's position on Europeans in general and the settlers in particular.

Keywords: Ethnic minorities, Algerian Revolution, European settlers, French colonization.

المؤلف المرسل: محمدي محمد

مقدمة:

تعتبر الأدبيات والمواثيق واحدة من أهم المصادر بالنسبة للدارسين والباحثين في هذا حقل البحوث العلمية والأكاديمية، وتزيد أهمية هذه الأخيرة عندما تتصل بعلم التاريخ بفروعه ومراحلته المختلفة، وقد تتزايد الوثائق المشار إليها اهتماماً عندما ترتبط بحركات التحرر والأشكال المتعددة من أنماط المقاومة للاستعمار المتباين الأوجه، وعليه فقد عُدت المواثيق عامة والثورية منها بصفة خاصة محوراً لاشتغال الدارسين والمؤرخين على حد سواء، وفي ذلك اجتهاد واضح من هؤلاء الباحثين لرصد أهم المبادئ التي حملتها المواثيق والأدبيات سائلة الذكر، كما تكمن أهميتها في الوقوف عند حقيقة التوجهات الفكرية والايديولوجية لحركات التحرر وقادتها.

البعد الإنساني للثورة الجزائرية من خلال مواعيقها 1954-1962 " المستوطنين

الأوروبيين أنموذجاً"

ومن هذا المنطلق؛ فقد اكتسبت المواعيق بمختلف أشكالها مكانتها الهامة بل ومركزيتها في اهتمام الدول ونخبها على حد سواء، وهو الحال بالنسبة للمواعيق الأساسية للثورة الجزائرية 1954-1962، إذ حاولت دراستنا الوقوف عند القيم الانسانية الواردة في أدبياتها، وذلك منذ اندلاعها في الفاتح نوفمبر 1954 وإلى غاية استرداد استقلالها في ال05 جويلية 1962، أين ركز الموضوع على قيمة انسانية أساسية وهي حفظ الحقوق الثابتة للمستوطنين ضمن مشروع الثورة التحريرية؛ ولأجل الوقوف عند هذه القيمة في نصوص الثورة التحريرية، فقد حاولنا الاجابة على التساؤلات الفرعية الآتي ذكرها:

وللإجابة على الاشكالية المطروقة كان من المنهجي الإجابة على التساؤلات

الفرعية الآتي ذكرها:

1- ما هي تجليات وملامح الاستيطان الأوربي في الحملة الفرنسية على الجزائر؟

2- وما هو موقف المستوطنين من الثورة التحريرية الجزائرية؟

3- وما هي مكانة المستوطنين في مشروع الثورة الجزائرية من خلال مواعيقها؟

1 - تجليات الاستيطان الاوربي في الحملة الفرنسية على الجزائر:

لقد كان إدراك الغزاة الفرنسيين منذ الوهلة الأولى لدخولهم أرض الجزائر، مدى الأهمية التي تحظى بها مسألة استقدام المدنيين والمستوطنين عموماً من أجل نجاح المهمة الاستعمارية في أرض غير أرضهم، إذ أن تثبيت الاحتلال والعسكريين بصفة خاصة في البلاد المستعمرة، يعد ضرباً من الخيال ما لم يصحب بالمدنيين والمستوطنين بصفة عامة، وهو ما لجأ إليه الساسة والعسكريين الفرنسيون منذ اللحظات الأولى لاحتلال الجزائر، فضمن الاستقرار والثبات المفضي إلى أبدية الحضور الاستعماري الفرنسي على الأرض الجزائرية لا بد له من مزوجة بين المستوطنين والعسكريين. وذلك ما تأكد على لسان الضابط العسكري

"شارل ديغول"، الذي وضع في تصريح له أهمية القطر الجغرافي للجزائر ضمن الخطط الاستراتيجية والحسابات المستقبلية للساسنة والعسكريين الفرنسيين على حد سواء، في قوله: «لقد غمرنا الفرح لأننا أصبحنا سادة لأرض كلفتنا الكثير، لقد تعزز موقعنا في إفريقيا والبحر الأبيض المتوسط بفضل الجزائر».¹

وبناء على الاستراتيجية الفرنسية المخطط تجسيدها في الجزائر، فقد كان اعتماد السلطات الاستعمارية في الجزائر نهجاً ثابتاً منذ الأيام الأولى لاحتلال هذه الأخيرة صائفة 1830، وذلك ما تبين في جملة القوانين التي تم استصدارها ضد السكان الجزائريين، والتي نجد أنها قوانين عنصرية قائمة على التهميش والاقصاء لجميع السكان الأصليين في البلاد من دون استثناء، سيما وأن السلطات الاستعمارية قد اختصت الأقلية الأوروبية المستوطنة بكامل الامتيازات الاجتماعية والاقتصادية وحتى السياسية منها، وذلك على حساب الجزائريين الذين جعلت منهم القوانين الاستثنائية أفراداً من الدرجات السفلى في المجتمع بعد أن كانوا الأسياد والملوك الأصليين، كما نجد أنهم قد منعو كذلك من جميع الإصلاحات التي وعدتهم لها السلطة الأجنبية مهما كان شكلها أو نوعها: اجتماعية أو اقتصادية أو سياسية، في وقت نال فيه المستوطنون الأوروبيون جميع الامتيازات والحظوات.²

2- موقف المستوطنين من الثورة الجزائرية:

منذ إعلان قادة الثورة الراديكاليين نبأ اندلاع العمل المسلح والثورة التحريرية ضد الاحتلال الفرنسي في 01 نوفمبر 1954، وأعداد كبيرة من المدنيين الفرنسيين والمستوطنين الأوروبيين يصنفون الحدث بالنتيجة الحتمية لتدهور

¹ - محمد داعي: الأقلية الأوروبية في الجزائر ما بين 1945-1962، أطروحة دكتوراه، إ: محمد مجاود، قسم التاريخ، جامعة الجيلالي اليابس (سيدي بلعباس)، الجزائر، 2014 / 2015، ص 14.

² - رمضان بورغدة: الأقضية القمعية الاستثنائية، والعقوبات الخاصة بالأهالي المسلمين في الجزائر المستعمرة خلال ق 19، مجلة العلوم الإنسانية، ع 29، جامعة منتوري- قسنطينة، الجزائر، جوان 2008، ص 238.

البعد الإنساني للثورة الجزائرية من خلال مواعيقها 1954-1962 " المستوطنين

الأوروبيين أنموذجاً

الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية، في حين اعتبرتها بعض الأوساط الفرنسية المناهضة لأسلوب الحكم القائم واحدة من الأزمات المتتالية التي ما فتئت تنخر في جسد الأمة الفرنسية، وما المأساة التي عرفتها حرب "الهند الصينية" إلا دليل واضح على عمق الأساليب المنتهجة من العسكريين الفرنسيين، إذ لم تزل آثار الحرب الخاسرة شاهدةً على التهور والطموح اللامبرر لهذه الفئة من الفرنسيين غير المسؤولين عن عواقب أعمالهم.³

وفي موقف مناهض لهذه الفئة من الفرنسيين، ذهبت فئة أخرى من البعض المستوطنين إلى أن أحداث غرة نوفمبر لا تعدو أن تكون أحداثاً مجردة من أي خلفية سياسية، بل هي شعور باليأس وشكل من أشكال الغضب والجوع الذي لا يعبر واقع عموم الجزائريين⁴، في حين حاول بعض العسكريين الفرنسيين تبرير فشلهم في تسيير الأوضاع بالربط العشوائي بين أحداث الجزائر والمستجدات التي تشهدها باقي البلدان الخارجية الأخرى، هذه الأخيرة التي أضحت موضع تهمة موجبة إلهما من الفرنسيين، بعد أحداث التخريب التي عرفتها بعض مناطق الجزائر إذ وجهت أصابع الاتهام إلى أطراف عديدة خارجية قريبة كانت أو بعيدة؛ ومنها نجد: تونس، المغرب، مصر، الشيوعية، الولايات المتحدة الأمريكية.⁵

ومن بين الأشكال المتباينة والمختلفة الأخرى؛ لردود الأفعال التي أعلنها هؤلاء المستوطنين من الفرنسيين والأوروبيين إزاء حدث تفجير العمل المسلح، هي تصنيف المستوطنين الأوروبيين للجزائر ضمن خانة الشأن الداخلي الفرنسي، والتي

³ - أحمد منغور: موقف الرأي العام الفرنسي من الثورة الجزائرية 1954-1962، رسالة ماجستير، إ: عبد الكريم بوصفصاف، قسم التاريخ وعلم الآثار، جامعة منتوري قسنطينة، الجزائر، 2006، ص 101.

⁴ - مولود قاسم نايت بلقاسم: ردود الفعل الأولية داخلاً وخارجاً على غرة نوفمبر، دار الأمة، الجزائر، 2007، ص 89.

⁵ - أحمد منغور: مرجع سابق، ص 102.

الأستاذ: محمدي محمد

تعد حالة مستقلة بل وخاصة عن باقي الحالات الأخرى التي شهدتها بعض البلدان العربية الشقيقة مثل تونس والمغرب، أو حتى بالنسبة لما قد حصل مع الهند الصينية منذ فترة وجيزة، فالفرنسيون عامة والمستوطنون بصفة خاصة قد ظلوا ولفترة طويلة يعتبرون الجزائر واحدةً من الولايات الفرنسية، وهو الرأي الذي أكدته عديد التصريحات الرسمية التي أعلنها السياسيون والعسكريون الفرنسيون، معبرين عن شعورهم بضرورة تحييد الجزائر عن باقي النماذج التحررية، مبدين في الوقت ذاته تمسكهم الأبدي بهذه الأخيرة مهما قد يكلفهم هذا الحلم من جهد أو مال، والدليل على ذلك ما أعلنه رئيس الحكومة الفرنسية "بيار منديس فرانس **Pierre Mendès France**" ، الذي اعتبر أن ما يحصل في الجزائر هو أحداث شغب عابرة أو كما سماها هو شخصياً "أحداث الجزائر **les événements d'Algérie**"، في حين أقر زميله "فرانسوا ميتران **François Mitterrand**" الموظف المعين على رأس وزارة الداخلية أن الأحداث هي شغب مبرمج يهدد الأمن العام بل ويستدعي استخدام القوة العسكرية والعنف الصريح للقضاء عليه، إذ برر توظيف المحظور ضد المدنيين الجزائريين وجميع المتورطين في الأعمال السابقة؛ في قوله: «إن الجزائر هي فرنسا ولن تقبل فرنسا في عقر دارها بأي سلطة أخرى غير سلطتها».⁶

وفي ذات السياق؛ المتعلق بمحاولة دمج الجزائر دولة وشعباً ضمن الكيان الفرنسي المسيحي وحضارته المزعومة، بانتهاج أساليب مختلفة من الاستيلاء المبرمج للثروات والمقدرات السطحية والباطنية للبلاد والحرمان المقنن للسكان الجزائريين منها في المقابل، وبخاصة في ظل إجبارهم على الخضوع للأمر الواقع ومحاصرتهم والتضييق عليهم، اعتماداً على التجاوزات العنصرية والممارسات

⁶ - شعبان إيدو: شبكات دعم الثورة الجزائرية في أوروبا الغربية 1957-1962، أطروحة دكتوراه، إ: محمد مجاود، قسم التاريخ، جامعة الجيلالي اليااس سيدي بلعباس، الجزائر، 2017 / 2018، ص33.

البعد الإنساني للثورة الجزائرية من خلال مواعيقها 1954-1962 " المستوطنين

الأوروبيين أنموذجاً

اللاإنسانية المقترفة في حقهم، وحول الجرائم الاستعمارية الفرنسية المرتكبة ضد الجزائريين في محاولات يائسة لدمجهم بالقوة في الحضارة الفرنسية المزعومة؛ يذكر السياسي "فرحات عباس" في توصيفه للسياسة المنتهجة من السلطات الفرنسية إرغاماً للجزائريين للخضوع للأمر الواقع، بالقول: «هل تريدون أن تحضروا هذا البلد؟ حضروا ساكنيه، ليس هناك من صيغة أخرى؟ وإما أن تخلقوا وبشكل مصطنع شعباً أوروبياً، يمسك أصحاب البلد الشرعيين وبشكل قصري، فإنكم ستعرضون أنفسكم إلى ما ستفعله الطبيعة في يوم ما، وهو أن تستعيد قوتها، وتحكم في حركة غريزية، إنجازاً لا يعنىها، إنجازاً سيبقى غريباً عنها...، إنجازاً يحتمل أن يسبب لها الألم».⁷

ومن هذا المنطلق، المتعلق بتوظيف أساليب مختلفة من الدمج القسري والعنصري للسكان الجزائريين ضمن المجتمع الفرنسي، فقد برز لنا موقف المستوطنين الأوروبيين رافضاً ومناهضاً لجميع مشاريع وأشكال الإدماج للجزائريين ضمن المجتمع الفرنسي⁸، وهو ما وضحته نصوص وأدبيات الثورة التي كان لها إسهاب في تشريح مواقف المستوطنين الأوروبيين في الجزائر، إذ توصل قادة جبهة التحرير من خلال أبحاثهم أن هذه الفئة من الفرنسيين، ليست كما يعتقد عموم الجزائريين عبارة عن كتلة متماسكة واحدة أو على موقف ثابت من القضية الجزائرية، بل هي مجموعة من المواقف المختلفة والمتباينة في المبادئ والأهداف، انطلاقاً من جنيس القناعات الفكرية والايديولوجية التي تسهم في تركيبية هذه الأخيرة، حيث أسهمت هذه القناعات في بروز تشكيلة مختلفة من المواقف ظهرت أطرافها حسب ما وضحه الطبيب الفرنسي من أصول مارتينيكية "فرانز فانون"،

⁷ - محمد داعي: مرجع سابق، ص 177.

⁸ - صالح عباد: المعمرون والسياسة الفرنسية في الجزائر 1870-1900، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر.

في قوله: «إن الأقلية الأوروبية بعيدة من أن تكون الكتلة الموحدة، التي يتخيلها المرء...، فالواقع أثبت وجود اتصالات بين بعض المستوطنين الأوروبيين والنخبة الجزائرية، كما نجد بالمقابل أن حزب "جبهة.ت.و" يشير ضمن أدبياته، إلى عدم اعتبار جميع المستوطنين الأوروبيين موقفاً موحداً والصف الاستعماري».⁹

إن المواقف الرسمية الفرنسية حقائق سرعان ما أدركها قادة جبهة التحرير في وقت مبكر، بل إننا نجد أن الحقيقة سالفه الذكر قد كانت واضحة للطليلة الثورية حتى قبل تفجير العمل المسلح ضد الاستعمار الفرنسي، ودليل ذلك ما وضعه بيان الثورة التحريرية ومرجعها الأساس، فهو الذي وضع وبصفة مباشرة لا يشوبها التديليس والغموض الهدف الرئيسي من العمل المسلح، كما أنه وضع أيضاً الوسائل والأساليب الواجب اتباعها للوصول إلى الحل الأمثل للقضية الجزائرية، إذ ورد في نصه القول: «إن حركتنا موجهة فقط ضد الاستعمار الذي هو العدو الوحيد الأعمى»¹⁰، كما نجده أيضاً قد وضع الهدف الأساس من الكفاح المسلح المعلن عنه ليلة 01 نوفمبر 1954 ضد الاحتلال الفرنسي، في عبارة واضحة وصريحة جاء فيها: «إن الهدف الأساسي من حركتنا هو تحقيق الاستقلال، في ظل احترام جميع الحريات الأساسية دون تمييز عرقي أو ديني».¹¹

ومما تجدر الإشارة إليه كذلك؛ أن المستوطنين الأوروبيين في الجزائر وفي مقابل مواقفهم الراضية للمساواة مع السكان الأصليين من الجزائريين، فإننا نجد أن ميثاق مؤتمر الصومام 1956 قد خص هؤلاء المستوطنين بذات الاهتمام والمكانة التي حظي بها هؤلاء في بيان الفاتح نوفمبر 1954، إذ نجد أن ثاني موثيق

⁹ - فرانس فانون: العام الخامس للثورة الجزائرية، تر: ذوقان قرقوط، منشورات anep، الجزائر، 2004، ص158.

¹⁰ - وزارة الإعلام والثقافة: وزارة الإعلام والثقافة: النصوص الأساسية لجبهة التحرير الوطني (1954-1962)، الجزائر، 1979، ص08.

¹¹ - وزارة الإعلام والثقافة: مصدر نفسه، ص09.

البعد الإنساني للثورة الجزائرية من خلال مواعيقها 1954-1962 " المستوطنين

الأوروبيين أنموذجاً"

الثورة الجزائرية وأولها تنظيمياً قد اعتبر المستوطنين الأوروبيين أهم حلقة في مستقبل القضية الجزائرية بل والفيصل الحقيقي في حلها كذلك، سيما وأن ميثاق الصومام قد اختصها بمعية الأقلية اليهودية، بمكانة هامة ومميزة في الميثاق المرجعي الصادر عن المؤتمر التنظيمي الصادر في 20 أوت 1956، وهو الموقف البراغماتي الذي كان سبباً مباشراً في توجيه عديد الانتقادات لمنظري هذا المؤتمر وجميع من شارك في أطواره، استناداً إلى المغالطة غير المنطقية لعموم المثقفين والأحرار الفرنسيين الذين لم نجد منهم إلى حد الساعة تأييداً واضحاً للقضية الجزائرية، وفي ذلك دوس واضح عل المبادئ والأسس الثورية التي رسمها بيان 01 نوفمبر 1954.¹²

وهو ما برره قادة المؤتمر بالجهود الهادفة لاحتواء جميع الأقليات الدينية والعرقية بالجزائر لصالح القضية الوطنية، والتي أضحت خلال المدة الأخيرة تعيش أصعب وأعقد مراحلها فالمستوطنون الأوروبيون في الجزائر هم بالنسبة للثورة الجزائرية كتلة بشرية هامة، على عكس ما هو الحال بالنسبة لهذه الأقلية في البلدين الشقيقين تونس والمغرب، وتلك هي المعطيات التي وضحتها ميثاق مؤتمر الصومام مؤكداً على ضرورة التمييز بين الفئات والأطراف الداخلية، التي تتشكل منها الأقلية الأوروبية المستوطنة في الجزائر، حيث وضع ميثاق الصومام أن لكل من الفئات المشكلة لهذه الأقلية موقفها الخاص من القضية الجزائرية وثورتها التحريرية، بل وحتى من سياسة السلطات الفرنسية التي تطبقها ضد المدنيين

¹²- عبد الله مقلاتي: مواعيق ووثائق الثورة الجزائرية(دراسة وتحليل)، ج10، دار شمس الزيبان للنشر والتوزيع، الجزائر، 2013، ص 157.

الجزائريين¹³، إذ كان الوقوف على ثلاثة مواقف رئيسية يتشكل منها الموقف العام للمستوطنين الأوروبيين في الجزائر:

-أنصار الجزائر الفرنسية: من غلاة المستوطنين، يهدفون من خلال مطالبهم إلى الدفاع عن الامتيازات والمصالح الاقتصادية المحصل عليها بالجزائر، كما أن النظرة المستقبلية بالنسبة لهذه الفئة للدولة الجزائرية، لا تنفك أن تخرج عن الإطار العام للجزائر المستعمرة الأبدية لفرنسا.

-أنصار الحل الوسط: من أنصار الدعوة إلى المفاوضات بين الطرفين الفرنسي والجزائري، يهدف التوصل إلى مخرج سلمي للقضية الوطنية الجزائرية، حيث كانت هذه الفئة من المستوطنين أول من دعى إلى استحداث فئة مشكلة من الشعبين تكون طرفاً وسطاً بين المتنازعين، كما تكون حلقة للتوصل بينهما للتوفيق من أجل استحداث جنسية مزدوجة بين هذين الطرفين.

-أنصار الجزائر المستقلة: من المستوطنون الفرنسيين والأوروبيين، الذين لا يروون مانعاً في استقلال الجزائر ولا في حملهم للجنسية الجزائرية، شريطة أن لا يكون هناك تدخل خارجي في الشؤون الداخلية للجزائر مهما كان نوعه، مثل: مصر، بريطانيا، الولايات المتحدة الأمريكية.¹⁴

ومما سبق الذكر نستطيع القول؛ أن المستوطنين الأوروبيين في الجزائر، قد اختلفوا في مواقفهم من القضية الجزائرية عامة والثورة التحريرية بصفة خاصة، فمنهم من قرر مناهضة الثورة الجزائرية ومناوئة قضيتها التحريرية، ومنهم أيضاً من اختار لنفسه خيار الحلول التوافقية الوسطية، مع البحث عن صيغ ومشاريع توفيقية بين الطرفين المتنازعين، في حين قرر فريق ثالث المساندة العلنية للثورة ا

¹³- وزارة الإعلام والثقافة: مصدر سابق، ص 41.

¹⁴- وزارة الإعلام والثقافة: مصدر نفسه، ص 43.

البعد الإنساني للثورة الجزائرية من خلال مواعيقها 1954-1962 " المستوطنين

الأوربيين أنموذجاً

الجزائرية والاعتراف بمبادئها التحررية والانسانية، انطلاقاً من قناعاته الفكرية والإنسانية التي آمن بها عديد الوجوديين الفرنسيين والأوربيون على حد سواء.

3-مكانة المستوطنين في مشروع الثورة الجزائرية من خلال مواعيقها:

بعد الاعلان التاريخي عن الشروع في الكفاح المسلح ضد الاستعمار الفرنسي في الفاتح نوفمبر 1954، والتطورات الحاسمة التي عرفتها المسيرة الثورية الجزائرية خلال سنوات الثورة التحريرية الجزائرية، أصبح العالم مدركاً بأن السياسة الاستعمارية الفرنسية في الجزائر إنما هي سياسة تقوم على الإقصاء الممنهج والشامل لكافة الجزائريين والسكان الأصليين في البلاد، والتمكين بالمقابل لجميع المستوطنين الأوربيين من الوافدين الجدد على البلاد، وهم الذين جرتهم آمال الطموح نحو الثراء السريع في أرض غير أرضهم، وهو ما ورد في كتابات وتصريحات الفرنسيين من مثل النداء الذي توجه به "الجنرال كلوزيل" (القائد العام للقوات المسلحة الفرنسية في الجزائر) إلى المستوطنين بعد وصول أول فوج منهم إلى أرض الجزائر 19 أوت 1835 في قوله: «...عليكم أن تعلموا أيضاً أن هذه القوة (العسكرية) التي تحت امرتي، ما هي إلا وسيلة ثانوية، وذلك لأنه لا يمكن أن نغرس العروق هنا، إلا بواسطة الهجرة الأوربية فقط...»¹⁵، وهو ما لن يتحقق إلا بالاستيلاء على مصالح الجزائريين وممتلكاتهم على أرض الجزائر.

وفي ظل التجاوزات المرتكبة ضد الجزائريين من المستوطنين بتأييد وتواطؤ من السلطات السياسية والعسكرية الفرنسية، قررت قادة الثورة الجزائرية ورغم التجاوزات المقترفة ضد الجزائريين طيلة 132 عاماً من البطش والتنكيل، أن تكون مبادئ الثورة وأسسها مبنية على قيم السلم والتسامح والعفو... الخ، وهي مبادئ إنسانية نبيلة أمر بها الشرع الإسلامي، كما حث منتسبها على ضرورة

¹⁵ - صالح عباد: مرجع سابق، ص 07.

الأستاذ: محمدي محمد

التمسك بها في أوقات السلم والحرب على السواء، وهو ما حاول قادة جبهة التحرير تحقيقه بل وتجسيده في موثيق وأدبيات الثورة كما في ممارساتها اليومية والممارساتية.

وانطلاقاً من كون الأقلية المستوطنة في الجزائر واحدة من القضايا الشائكة في صلب المسألة الجزائرية، فقد ظل موضوع المستوطنين الأوربيين العائق الرئيس أمام آمال الجزائريين في تجسيد مطلبهم الشرعي في الحرية الاستقلال، وعليه فقد اختصته جبهة التحرير ببالغ الاهتمام و عميق النظر من أجل وضعها ضمن سياقها التاريخي والاستراتيجي، وبخاصة في ما تعلق بمكانة هذه الفئة من المستوطنين في أهم الموثيق الأساسية للثورة الجزائرية، الشيء الذي اجتهد لتجسيده قادة الثورة الجزائرية في موثيقها الثورة وأدبياتها، وهو ما سطرته الخطوط الرئيسية للمنحى الفكري والايديولوجي للثورة، التي اعتبرت المستوطنين أحد أبرز التشكيلات الاجتماعية والتاريخية بالمجتمع شأنها من شأن باقي الأقليات الدينية والعرقية الأخرى.

فالثورة الجزائرية تعهدت في بيانها التأسيسي للأقلية الأوروبية من المستوطنين، من أجل العمل على حفظ مصالحهم المكتسبة بطرق شرعية في البلاد، والعمل على ضمان الحد الأدنى من الحريات الأساسية لهم في ظل الدولة المستقبلية، ما وردت تفاصيله في نص البيان المرجعي، في القول: «إن الهدف هو إقامة الدولة الجزائرية...ضمن إطار المبادئ الإسلامية، واحترام جميع الحريات الأساسية دون تمييز عرقي أو ديني...»¹⁶.

وتجدر الإشارة؛ إلى أن عديد الباحثين والدارسين من وضع أن الربط الحاصل بين المبادئ الإسلامية ومسألة الحريات الأساسية للأفراد في البيان، إنما هي مسألة متعمدة ومقصودة وتهدف إلى توضيح العلاقة التي تربط بين الأحكام

¹⁶ - وزارة الإعلام والثقافة: المصدر السابق، ص-ص، 09-08.

البعد الإنساني للثورة الجزائرية من خلال موائيقها 1954-1962 " المستوطنين الأوربيين أنموذجاً"

الشرعية للدين الإسلامي، وبين واقع الممارسة العملية للمجاهدين خلال مرحلة الثورة، إذ اعتبر الباحثون أن مسألة المستوطنين تعد من الثوابت الأساسية في القضية الجزائرية وواحدة من ركائزها الأساسية¹⁷، وهي الأهداف التي حاول إثرائها ميثاق مؤتمر الصومام 20 أوت 1956، بتوضيح موقف جبهة التحرير من مسألة حقوق المستوطنين في الميثاق المرجعي للثورة، سيما في ظل الدعاية الفرنسية التي أضحت هاجساً حقيقياً يواجه إنجازات الثورة التحريرية وانتصاراتها، وخاصة بعد أن تمكنت الدعاية الاستعمارية من زرع الخوف في نفوس الكثير من المستوطنين الأوربيين.¹⁸

فالدعاية الفرنسية دأبت من أجل تقزيم كل منجزات الثورة وتطوراتها، ووصفها بأعمال الثورية العنف الممنهج والإرهاب الأعشى، الذي كان سعيه من خلال الأطروحات الفرنسية إلى القضاء على المستوطنين الأوربيين والإلقاء بهم في عرض البحر المتوسط¹⁹، ودليل ذلك ما روجت له الشائعات المضللة لأجهزة المخابرات الفرنسية، والتي وجهت هي الأخرى تهماً للسلطات العسكرية والسياسية في الجزائر لأنها أهملت المستوطنين في الجزائر، بل واتهمتم بالتواطؤ لإلقاء هؤلاء المستوطنين بين أيدي الوحشية العربية والاسلامية حسبها، ولم تتوقف عند هذا الحد بل حاولت أن تجعل الثورة التحريرية حرباً دينية وعنصرية أعلنتها "الهلل" ضد "الصليب"²⁰، وفي كل ذلك دعايات مزيفة تناقلها الجلادون الفرنسيون لزرع

¹⁷- عبد المجيد الفضة: البعد الإنساني في الثورة التحريرية 1954-1962، مجلة المعارف للبحوث والدراسات التاريخية، ع14، جامعة الشهيد حمة لخضر، الجزائر، دت، ص240.

¹⁸- عبد الكريم بوصفصاف وآخرون: القيم الفكرية والإنسانية للثورة التحريرية الجزائرية (1954-1962)، ج1، منشورات مخبر الدراسات التاريخية، جامعة قسنطينة، الجزائر، 2003، ص34.

¹⁹- عبد الكريم بوصفصاف وآخرون: مصدر نفسه، ص87.

²⁰- عامر رخيلا: البعد الإنساني في الثورة الجزائرية، مجلة المصادر، ع07، م.و.ب.ح.و.ث.أ.ن.54، الجزائر،

2002، ص51.

الأستاذ: محمدي محمد

الرعب في نفوس المستوطنين خشية تأييدهم للقضية الجزائرية، ولتحقيق هذا الهدف فقد اتحد مؤسس النظرية العنصرية المؤدلج "ريجاس" مع "باتي كريفو" من أجل إثارة الهلع في المستوطنين من الثورة، ومحاولة التمكين لأطروحات كاذبة منها: "الحقيقية" أو "الموت" والتي تعني الرحيل من الجزائر أو أن الموت هو المستقبل للفرنسيين.²¹

ورداً على الدعاية الفرنسية التي ما فتئت تتسلل إلى نفوس المستوطنين الأوربيين، بعد أن جعلت من الثورة حركة عنصرية في ثوب "حرب دينية عقائدية" المعلنة من الجزائريين ضد المستوطنين الأوربيين، وفي بادرة من قادة جبهة التحرير جاء إتخاذ قرار بإلغاء شكلي لكل عبارة من العبارات التي ركزت عليها الدعاية الفرنسية لنشر أطروحتها التشويهية والتضليلية ضد الثورة، ومثل ذلك نجد عبارة: "في إطار المبادئ الإسلامية" التي كان توظيفها مقصوداً في بيان 01 نوفمبر 1954، غير أن هذه العبارة اتفق على عدم إدراجها بالصرحة التي وردت عليها في البيان المرجعي ضمن ميثاق مؤتمر الصومام، وفي ذلك سعي تغييب الحجة على الأصوات الدعائية الفرنسية، التي حاولت تأويل الحضور العقائدي للإسلام في المواثيق الأساسية للثورة وبخاصة في ميثاق 01 نوفمبر 1954، إلى شكل من أشكال الحرب الدينية المقدسة بين الأديان السماوية، والتي تستهدف القضاء على الأقليات الدينية والعرقية لاسيما المستوطنين الأوربيين، ونجد في المقابل أن جبهة التحرير قد لجأت إلى طرق بديلة لاستقطاب المستوطنين بهدف دعمها والانخراط فيها، لتضمن لهم المكانة التي يسعون إلى الحصول عليها في ظل الدولة الجزائرية المستقلة²²، وهي الغاية التي ناضل لأجل تحقيقها قادة جبهة التحرير سيما بعد

²¹ - وزارة الإعلام والثقافة: مصدر سابق، ص 42.

²² - لصر الدين لعوج: الأسس الإيديولوجية والأبعاد الحضارية للثورة الجزائرية 1954-1962، أطروحة دكتوراه، إ: محمد مجاود، قسم التاريخ، جامعة الجيلالي اليباس سيدي بلعباس، الجزائر، 2012/2013، ص-ص، 263-264.

البعد الإنساني للثورة الجزائرية من خلال مواعيقها 1954-1962 " المستوطنين الأوربيين أنموذجاً"

نداءاتهم المتكررة للمستوطنين عبر المواعيق الثورية للانضمام إلى المشروع التحرري للجزائر.

وللتدليل على النداءات الأخوية من مسؤولي جبهة التحرير إلى المستوطنين القاطنين بالجزائر، فلا أدل من رسالة جبهة التحرير إلى الهيئة الأممية في 1957، والتي أكدت أن المستوطنين ستكون لهم حقوق في ظل الدولة الجزائرية المستقلة التي ستكون دولة جامعة وشاملة لجميع الجزائريين من دون استثناء، بغض النظر عن انتمائهم الديني أو العرقي. فالهم أن يتمتع هؤلاء بالجنسية الجزائرية²³، وفي سياق متصل نجد أن جبهة التحرير قد اجتهدت في حفظ كرامة المستوطنين الانسانية وجميع خصائصهم ومميزاتهم الدينية والثقافية... الخ، كالمعتاد واللغة والعادات والتقاليد... الخ، وكل ما ورد ذكره في نص الرسالة التي أوردها المفكر "أندريه ماندوز" في كتابه الشهير الموسوم بـ "الثورة الجزائرية عبر النصوص"، ومنها ما يلي: «...وإذا ما اضطلعت الجزائر بسيادتها، في إطار هذه المجموعة ورفضت أي هيمنة عنصرية، فهي على العكس من ذلك، ستدعو لمساهمة أبنائها دون تمييز...، حيث لن يكون أي شخص مهدداً في حرياته، كما أن السكان من أصل أوربي متخلصين من خرافة التفوق العنصري ومعافين من العقدة الاستعمارية، هم مدعوون بدورهم أخوياً وجنباً إلى جنب مع مواطنهم المسلمون، كي يقدموا ما بوسعهم من طاقة وذكاء...»²⁴.

وفي ذات الاتجاه المتعلق بجهود الثورة لاستقطاب المستوطنين إلى كفة كفاح جبهة التحرير فقد توجه رئيس الحكومة المؤقتة الجزائرية "فرحات عباس" بنداء أخوي إلى المستوطنين القاطنين على أرض الجزائر، ومما جاء في نداءه قوله:

²³ - محمد العربي ولد خليفة: المحنة الكبرى، دار الأمل للطباعة، الجزائر، 2009، ص 316.

²⁴ - أندريه ماندوز: الثورة الجزائرية عبر النصوص، تر: ميشال سطوف، منشورات anep، الجزائر، 2008، ص 144.

«أيها الأوربيون في الجزائر،...أنظروا حولكم: إن عالم اليوم، لم يعد فيه مكان للمفاهيم الاستعمارية، ولم يعد فيه مكان للتمييز العنصري، فلا تحاولوا أن تتشبثوا بالمتناقضات وبقايا الماضي المتعفنة، ولا تحاولوا أن ترهقوا أنفسكم بالاختيارين إبادة الشعب الجزائري أو رحيلكم عن الجزائر».²⁵

وما النداء سالف الذكر إلا نموذج عن المشاريع الانسانية العديدة والمتكررة التي توجهت بها جبهة التحرير للمستوطنين الأوربيين، من أجل تحكيم العقل والتخلي بالحكمة في اصدار مواقفهم من القضية الجزائرية، وفي سبيل الوصول إلى نتيجة ايجابية فقد أقرت الثورة بحماية المستوطنين في أرواحهم وممتلكاتهم التي اكتسبوها بطرق شرعية، وهو الخطوة الهامة التي اتخذتها الثورة في سبيل مواجهة عقدة الخوف التي راودت المستوطنين من هاجس المستقبل المجهول لهم، سيما في ظل احتمالات الانتقام الواردة التي سيعلن عنها بصفة حتمية من طرف الجزائريين، العامل الذي ساهم في ظهور قلق واضح أعرب عنه "الجنرال ديغول" في خطاب له موجه للمستوطنين في 12 جويلية 1961 الذي وضح من خلاله الحلول والبدائل المتاحة للمستوطنين القاطنين في الجزائر بالقول: «...فسنضطر في النتيجة إلى تجميع السكان الذين يرفضون الالتحاق بدولة آيلة للفوضى، في إحدى المناطق بهدف حمايتهم أو ضمان وسائل استقرارهم في فرنسا، إذا رغبوا في ذلك، وعدم الاهتمام بأي حال بمصير بقية السكان، ومنعهم من دخول أراضيها».²⁶

وهو الهدف الذي لم يتمكن "الجنرال ديغول" من تجسيده على أرض الواقع سيما بعد أن وجد هذا الأخير نفسه مضطراً إلى الجلوس إلى طاولة المفاوضات مع جبهة التحرير، مما جعل من الطرف الفرنسي أمام حتمية المصادقة على قرارات

²⁵ - جريدة المجاهد: ع22، التاريخ: 1960/02/02، ص02.

²⁶ - محمد داغي: مرجع سابق، ص368.

البعد الانساني للثورة الجزائرية من خلال مواعيقها 1954-1962 " المستوطنين

الأوربيين أنموذجاً

اتفاقيات إيفيان في 18 مارس 1962، هذه الأخيرة التي مكنت المستوطنين من الحصول على حقوقهم: السياسية والاقتصادية، الاجتماعية، الثقافية... الخ، ومنها: حقهم في الحصول على الجنسية الجزائرية، حماية الأملاك، وفي الاطار نفسه وضحت نصوص الثورة وجهة نظرها إزاء مصالح وممتلكات المستوطنين، دليل ذلك قولها: «إن المصالح الأوربية الثقافية والاقتصادية والمتحصل عليها بنزاهة، سواء كانت مصالح رسمية أو مصالح لأشخاص أو لعائلات فرنسية ستحترم...»²⁷.

إن الامتيازات التي منح إياها المستوطنون في الجزائر صنفها عديد الدارسين المعاصرين في خانة التنازل الصريح من جهة التحرير لهذه الفئة، استناداً منهم في ذلك أن كل المصالح والأملاك المكتسبة من قبل الفئة المذكورة، إنما هي في الحقيقة كلها ممتلكات غير قانونية ولا أساس لها من الشرعية²⁸، ما اعتبره المستوطنون أهم العراقيل التي واجهت في سبيل الحل النهائي للقضية الجزائرية.

ورغم الجهود التي بذلتها جبهة التحرير في سبيل حلحلة القضية الجزائرية، والعمل على إبطال الحجج التي وظيفها المستوطنون لعرقلة التوصل إلى حلول موضوعية ترضي الأطراف المتنازعة عسكرياً، سيما وأن الجبهة قد بحثت عن أيسر السبل وأقصرها لحلها وفقاً لما يتلائم والنصوص القانونية والدولية والانسانية، وهو ما صنفه الدارسون بمثابة الضريبة التي قدمتها جبهة التحرير لفتح أبواب الحوار المغلقة مع السلطات الاستعمارية للتوصل إلى حل عاجل

²⁷ - يوسف قاسمي: قراءة فكرية وسياسية في بيان أول نوفمبر 1954م، الملتقى الدولي الثورة التحريرية الجزائرية (دراسة قانونية وسياسية)، جامعة 08 ماي 1945 قالمة، الجزائر، 2012، ص21.

²⁸ - حمدان بن عثمان خوجة: المرأة، تج: محمد العربي الزبيري، منشورات anep، الجزائر، 2005، ص 263.

للقضية الجزائرية، وخاصة بعد الإفراقات الأخيرة التي عرفتھا المواجھة العسكرية من جيش التحرير ضد العسكريين الفرنسيين.²⁹

خاتمة:

وفي ختام هذه الدراسة نستنتج أن الثورة التحريرية. وبالرغم سياسة إبادة الجنس الجزائري المسلم والعنصرية التي انتهجتها السلطات الاستعمارية بمساعدة ودعم من المستوطنين الأوروبيين، إلا أن قادة جبهة التحرير قد آثروا عدم المعاملة بالمثل إزاء المستوطنين من الفرنسيين والأوروبيين على حد السواء، أين آثرت الثورة الجزائرية في تعاملها مع الفئة المذكورة تجسيد المبادئ الإنسانية والقانونية. التي أمر بها الشرع الاسلامي في القرآن الكريم وأقرتها المواثيق الدولية والمعاهدات الإنسانية الوضعية، وما الضوابط التي إلتزمت بها الثورة الجزائرية في معاملة المستوطنين الأوروبيين وأقرتها لهم في مواثيقها وأدبياتها، إلا دليل واضح على أن المستوطنين قد كانت لهم المعاملة الانسانية والقانونية، المتوافقة مع أوامر الشريعة الإسلامية، وصادقتها مجمل القوانين الوضعية الدولية. ذلك كله بالرغم من التجاوزات والانتهاكات التي طالت من قبلهم أعداداً كبيرة من الجزائريين والجزائريات.

²⁹ - عبد الكريم بوصفصاف وآخرون: مرجع سابق، ص 83.